المحاضرة الثانية:

الو اقعية التقليدية:

- جاءت بعد الح ع 2 كرد فعل على تيار المثالية.
- هدفت إلى دراسة وفهم سلوكيات الدول والعوامل المؤثرة في علاقاتها مع بعضها البعض.
- جاءت لتدرس وتحلل ما هو قائم في العلاقات الدولية، لا لتقديم مقترحات وأفكار حول ما يجب أن تكون عليه العلاقات الدولية كما فعلت المثالية.
- تدرس أساسا أساسيات القوة والحرب والنزاعات؛ أسبابها ودوافعها.
- أثار نشوب الح ع 2 التساؤل حول فاعلية المؤسسات الدولية، وأكدت الواقعية دور القوة في الع الدولية.

أولا: مفهوم الو اقعية التقليدية:

1- التعريف:

الواقعية من أقدم وأهم النظريات في العلاقات الدولية، تقوم على افتراض أن العلاقات بين حدات المجتمع الدولي (الدول) تحكمها اعتبارات المصلحة والقوة، وترتكز على:

-الحقيقة الموضوعية التي يقبلها العقل، يُنظر إلى الدولة باعتبارها الفاعل الأساسي والوحيد تقريبًا .

- الطبيعة الأنانية للإنسان، ما يجعل الصراع سمة دائمة في السياسة الدولية.

- الأمن والبقاء كأولوية قصوى للدول.

- النظر إلى العلاقات السياسية الدولية بوصفها علاقات مؤسسة على القوة والمصلحة المادية.

2- نشأة وتطور الو اقعية التقليدية:

-الجذور الفكرية القديمة:

- تعود بداياتها إلى القرن 5 ق م مع المؤرخ والفيلسوف الإغريقي **ثوسيديديس / Thucydides** من خلال تحليله لحرب البيلوبونيز بين أثينا وإسبرطة، حيث رأى أن الصراع سببه تنامي قوة أثينا وخوف إسبرطة منها.
- ساهمت التجربة الرومانية ثم الأوروبية في العصور الوسطى (1500–1800م) في ترسيخ فكرة الدولة كوحدة أساسية في النظام الدولي.

-الفكر السياسي الكلاسيكي:

***-نيكولا ميكيافيلي/ : Niccolò Machiavelli**: في كتابه الأمير (1513) يعد من أوائل من وضع أسس تحليل السياسة بمنطق القوة، مؤكدا أن "الغاية تبرر الوسيلة"، وهو ما جعله أول محلل حديث للعلاقات السياسية القائمة على القوة والمصلحة.

***توماس هوبز/Thomas Hobbes :** ركز على الطبيعة الأنانية والعدوانية للإنســان في كتابه الليفياثان، معتبرا أن العلاقات الدولية تشبه "حرب الجميع ضد الجميع"، يسعى الفاعلون دائما إلى امتلاك القوة من أجل البقاء.

-التطور الحديث للو اقعية:

- برزت الواقعية كمنظور مميز في القرن العشــرين مع أعمال **إدوارد كار/ E.H. Carr** خاصــة كتابه **الأزمة العشرينية (1939)** ، الذي انتقد فيه المثالية الليبرالية.
- ثم جاء **هانز مورغنثاو/ Hans Morgenthau** في مؤلفه: **السـياسـة بين الأمم: الصـراع من أجل القوة والسلم (1948)** ، ليؤسس ما أصبح يعرف بـ"الواقعية السياسية التقليدية"، حيث صاغ مبادئها الأساسية حول **الطبيعة الأنانية للإنسان، مركزية الدولة، وأولوية القوة والمصلحة الوطنية**.

3- المصادر الفلسفية للو اقعية :

الفلسفة القديمة :**القائمة على فكرة ***القوة، عند كل من :

-اليوناني-ثوسيديديس: تاريخ حرب البيلوبونيز ⟵ القوة هي أساس العلاقات بين الدول.

- الصــيني **مينغ تســي(Mencius)**، والهندي **كوتيليا(Kautilya)** ، يعتبر أول كتاب للواقعية التقليدية في العلاقات الدولية، تناول موضوعات: الحرب، التحالف، دور العوامل الجغرافية، مركزية مفهوم القوة ...

***الفكر الأوروبي الحديث في عصر النهضة (القرن16-17):**

- **ميكيا فيلي** في كتابه **الأمير Le Prince**؛

- أكد على الطابع البراغماتي للسياسة،
- ركز على أن الغاية تبرر الوسيلة في سبيل الحفاظ على الدولة.

-توماس هوبز في كتاب الليفياثان Leviathan؛

- اعتبر أن الطبيعة البشرية أنانية، وأن الصراع على القوة أمر حتمي.
- شبه حالة النظام الدولي بـ حالة الطبيعة حيث يسود "صراع الكل ضد الكل".
- يرى أن القوة عامل حاسم في السلوك الإنساني؛

***الفكر الأمريكي في القرن العشرين :**

- القس البروتســتانتي **رينهولد نيبور/Reinhold Niebuhr** ، الذي يعتبر الأب الروحي لفلســفة القوة في القرن العشرين، وله تأثير على كتابات السياسة في أمريكا، من خلال:

-طرح فكرة "الواقعية المسيحية.Christian Realism"

-شدد على محدودية المثالية الأخلاقية في السياسة الدولية.

-اعتبر القوة جوهر التفاعلات الدولية.

كان لهذه الفلسفة تأثير على عدد كبير من المفكرين السياسيين وعلى الفكر السياسي خلال النصف الأخير من القرن العشرين، وترجم في بروز **الو اقعية** مع بداية الح ع 2 كرد فعل على المثالية.

***- بعد الح ع2: ميلاد الو اقعية:**

-ظل فراغ القوة في البيئة الدولية؛

-المفكرون الأمريكيون (المتأثرون بفكرة القوة وبدور **المركب الصناعي–العسكري Military-Industrial Complex)**، انتقدوا السياسة **المثالية** الويلسونية (العزلة).

في ظل هذا السياق التاريخي والسياسي، ظهرت **الو اقعية** بنظرياتها وموضوعاتها ومنهجها لتحليل الع الدولية؛ تم توظيفها **علميا وسياسيا** لتبرير **التحول الأمريكي** من خلال:

سياسة **العزلة القارية** إلى **سياسة كونية تدخلية**، الهدف منها، هو المشاركة في الشؤون العالمية وفق **المصلحة الوطنية**، وبناء **نظام دولي جديد** بديل عن نظام **توازن القوى** (1919–1939).

ثانيا: افتراضات ومسلمات الو اقعية التقليدية Classical Realism:

1- الافتراضات: (المنطلقات النظرية العامة التي تبنى عليها الو اقعية)

*-العلاقات الدولية تحكمها **قوانين موضوعية** تضرب بجذورها في أعماق **الطبيعة البشرية**، وتبرز من خلال **الطبيعة البشرية الشريرة والخطيئة** وامتلاك **القوة** التي يميل **الإنسان** لها.

*- الدولة تشكل **وحدة متكاملة-Unitary Actor**، حيث يرون أنها تتصرف وكأنها فاعل واحد على الرغم من وجود العديد من مراكز القوى واتخاذ القرار داخل الدولة، بمعنى أنه مهما كان هناك تباين في وجهات النظر داخل الدولة إلا أنه سيتم حل الخلاف بالنهاية لتصبح الدولة تتكلم بصوت واحد على الصعيد الخارجي، وهذا يعني أن الدولة تشكل الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية.

*- الدولة تتصرف بشكل **عقلاني-Rational Actor**، أي أن الدولة كفاعل في العلاقات الدولية لها أهداف ومصالح وتتصرف بشكل عقلاني، أي أنها توازن ما بين الربح والخسارة في كل تصرف تقوم به، وعلى الرغم من إقرار الواقعيين بوجود البيئة والعوامل المؤثرة بها، إلا أن الدول حسبهم سوف تتصرف وتتخذ أفضل القرارات من بين جميع الخيارات المتاحة.

***-الموقع الجغرافي:** يؤثر في قدرات الدول وتوجهاتها السياسية الخارجية.

***-النظام الدولي فوضوي Anarchy / الأناركية:** لغياب سلطة مركزية، والعلاقات تدار عبر توازن القوى.

***-المنهج التاريخي–التجريبي:** السياسة الدولية يجب أن تبنى على التجارب الواقعية والخبرات التاريخية لا على المبادئ المثالية.

2- المسلمات: (النتائج أو القواعد التي تعتمدها الو اقعية في تفسير العلاقات الدولية):

***-الطبيعة البشرية أنانية وعدو انية:**

- الإنسان بطبيعته يسعى وراء القوة والسيطرة.
- النزاعات تنبع من هذه الطبيعة، وليس فقط من الظروف الخارجية.
- الأساس مستمد من أفكار **هوبز** "حرب الجميع ضد الجميع" و**ميكيا فيلي** "الغاية تبرر الوسيلة".

***-الدولة هي الفاعل المركزي-الرئيسي في العلاقات الدولية :**

- الدولة الوطنية Nation-State هي الوحدة الأساسية وكوحدة للتحليل الرئيسية في النظام الدولي.
- لا تعترف بدور مؤثر للفواعل الأخرى (المنظمات الدولية، الشـركات متعددة الجنسـيات)، وأنها فواعل ثانوية إذا تمت مقارنة دورها بدور الدولة الوطنية.

***-النظام الدولي فوضوي :Anarchy**

- لا توجد سلطة مركزية تضبط سلوك الدول.
- كل دولة تعتمد على نفسها Self-Help لضمان أمنها وبقائها.

***-المصلحة الوطنية تعرف بالقوة :**

- القوة (خاصة القوة العسكرية –الصلبة-) هي الأداة الرئيسية لحماية المصلحة الوطنية.
- العلاقات بين الدول تُفهم من خلال توازن القوى Balance of Power.

***-المصلحة الوطنية تعرّف دوما بالأمن القوميNational Security-، وأن مسألة البقاء Surviving-تشكل المحدد الأساسي لسلوك الدولة:**

تمتد مصالح الدولة لتشمل كذلك مصالح يشار لها بالسياسات العليا-High Politics وهي المتمثلة بقضية القوة العسكرية والسياسية، حيث تسيطر على اهتمامات وأولويات الدولة لتحقيق الأمن القومي، وتمتد لتشمل أيضا مسائل السياسات الدنيا-Low Politics المتمثلة بالتجارة والاقتصاد وغيرها، لذلك تستخدم الدولة قوتها لتحقيق أهدافها على المستويات الأمنية والاقتصادية معا.

***-الصراع أمر دائم وحتمي:**

- النزاع بين الدول طبيعي ودائم بسبب التنافس على القوة والمكانة.
- أن الصراع على القوة هو جوهر العلاقات الدولية كما ذكر ذلك هانز مورجنثاو في كتابه "السياسة بين الأمم": (إن السياسة الخارجية كأي سياسة أخرى صراع على القوة).
- الحرب ليست استثناء، بل جزء من طبيعة النظام الدولي.

***-الأمن هو الهدف الأول للدول :**

- كل دولة تسعى قبل كل شيء لضمان أمنها وبقائها.

- الأمن يتحقق عبر زيادة القوة أو خلق تحالفات أو تحقيق توازن القوى.

***-الأخلاق ثانوية في السياسة الدولية:**

- يرى الواقعيون التقليديون أن الأخلاق لا يمكن أن تكون مرشدا للسياسة الخارجية.
- السياسة قائمة على المصلحة والقوة، لا على المبادئ المثالية أو الأخلاقية.

ثالثا: أهم منظري الو اقعية التقليدية:

1-إدوارد هاليت كار E.H. Carr (1892-1982)

صاحب كتاب الأزمة العشرون 1939 – The Twenty Years' Crisis.

انتقد المثالية الويلسونية، واعتبر أن السياسة الدولية لا تُفهم إلا من خلال القوة والمصلحة.

2-هانز مورغانثو Hans Morgenthau(1904-1980)

ظهرت الواقعية المعاصرة في الأوساط الأمريكية من خلال كتاب مورغانثاو: السياسة بين الأمم، والتي ركزت فيها على مفهوم القوة، وهي حسبه ترى في العالم غير مكتمل ولا يسير وفق المثل ووفق المبادئ العقلانية، وإنما تحكمه قوانين وقوى ترجع إلى الطبيعة الإنسانية، ولتحسينه لا بد من العمل مع هذه القوى لا ضدها، لهذا وضع 6 مبادئ أساسية للواقعية، أهمها أن **المصلحة تُعرّف بالقوة**، والسياسة لها قوانين موضوعية مستقلة عن الأخلاق. –سبق الإشارة إليها-.

3-رينولد نيبور Reinhold Niebuhr (1892-1971)

ينطلق من فكرة مركزية في الواقعية حول الطبيعة الشريرة في الإنسان، ولكن بصيغة لاهوتية، فيرى أن الإنسان ولد مع خطيئته (الواقعية المسيحية)، والتي تتمثل في الأنانية، وأن الإرادة القومية للدول والجماعات هي انعكاس لإرادة أفرادها والتي تتمثل في تحقيق القوة.

4- نيكولا سبيكمان Nicholas Spykman (1893-1943)

أستاذ العلاقات الدولية في جامعة بيل في الولايات المتحدة الأمريكية، ركز على **العامل الجغرافي** في تحديد السياسات الدولية، وأن الموقع الجغرافي هو الذي يحدد مشكلات هذه الدولة، ويرى بأن القوة هي العامل الأساسي في بقاء الدول ومصيرها، وأن الاستقرار النسبي يعود إلى **توازن القوى**، لذا دعا إلى تبني سياسة الخارجية أمريكية تعمل على تحقيق توازن قوى مع اوراسيا بمساعدة اليابان وألمانيا بعد الح ع 2، لتحقيق توازن في القوى ضد الصين بالنسبة لليابان وضد روسيا بالنسبة لألمانيا.

5- جورج كينان George Frost Kennan (1904-2005)

رجل دبلوماسي أمريكي، ركز في أبحاثه وكتاباته عن السياسة الخارجية، ومن أهم أفكاره فكرة **احتواء** الخطر الشيوعي السوفياتي، فحسب رأيه هذه السياسة تؤدي إلى تغيرات داخلية في الاتحاد السوفياتي والتخلي عن الإيديولوجية الشيوعية.

6- هنري كيسنجر Henry Kissinger (1923-2023)

سياسي ودبلوماسي وجيوسياسي أمريكي، شغل مناصب سياسية هامة في أمريكا، كمستشار للأمن القومي الأمريكي في ظل حكومة: ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد، ووزيرا للخارجية الأمريكية، كان محبا للواقعية، حيث درس في أطروحته للدكتوراه فترة توازن القوى في السياسة الدولية الأوروبية بعد الحرب النابليونية 1815 ولغاية الح ع 1 1914، وأوضح فيها أهمية توازن القوى في الحفاظ على استقرار النظام الدولي.

يغلب على كافة كتب **كيسنجر**-السياسة الخارجية الأمريكية، الدبلوماسية- الفكر الواقعي، ويتأكد ذلك في تركيزه على **القوة والمصلحة الوطنية وتوازن القوى** في السياسة الدولية.

رابعا: نقد الواقعية التقليدية:

- مبنية على أساس منطقي متشائم للطبيعة الإنسانية سواء من منطلق ديني أو علماني، حيث أن الطبيعة الإنسانية ثابتة وليست متغيرة مما يحول دون تفسير الكثير من مظاهر العلاقات الدولية، فإذا كانت هذه الطبيعة تفسر الصراع والحرب، فكيف لها أن تفسر حالات التعاون والسلم؟
- افتقارها على الدقة في الكثير من تفسيراتها، ومفاهيمها، مثل القوة، المصلحة الوطنية، ميزان القوى،...، فهذه المفاهيم خاصة المصلحة الوطنية يصعب إعطاء معنى علمي لها لاختلاف القومية من بلد لآخر، لاختلاف التهديدات الأمنية.
- من الناحية المنهجية، استند الواقعيون التقليديون إلى التاريخ وعلم السياسة لإثبات نظرياتهم، لذا تم انتقادهم على أنهم يستعملون مصطلحات ومفاهيم قديمة في الزمن، وأصبحت غير قادرة على تفسير التاريخ المعاصر، مثل ميزان القوى، فصل السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية، واستعانوا واقتبسوا العديد من المفاهيم من علوم أخرى كالاقتصاد مثل نظرية الألعاب، ونظرية الخيار العقلاني، ونظرية البلياردو....